(نور الهاشاني) تدق ناقوس الخطر

أطفال الشوارع قنبلة موقوتة تهدد المجتمع السوداني

التشرد قضية مهمة لها تأثيرها السلبي في المجتمع ونجد أن الأسباب الحقيقية وراء ظاهرة التشرد في السودان هي الحرب الأهلية وعدم الاستقرار الأمني في أجزاء واسعة من السودان ، ولا شك أن طلاق الوالدات سبب لتشرد الأبناء قالاطفال المشردين هم ضحايا أسر مفككة لا تتمتع بالترابط الأسرى .

التشرد مصطلح يعنى إنسان بدون مأوى يفتقد المأكل والملبس والحياة الكريمة التي تصنع منه إنساناً ذو مكانة في المجتمع ، وهذه الظاهرة بشكل ليست حديثة ولا قديمة بل هى موجودة مع تطور الدول وتسارع الزمن وتكثر هذه الظاهرة بشكل مفرط في المجتمعات الكبيرة والدول الصناعية الحديثة . تختلف أسباب التشرد لكل فئة ولكنها في النهاية تنحصر في (أسباب اجتماعية ن اقتصادية نفسية ، سياسية).

تكمن خطورة « المشردين « في استخدامهم في أعمال تخريبية تهدد الأمن والسلام

تقول إنتصار محمد بلولة (المحاضر بكلية الإعــلام) المتشردين أو ظاهرة التشرد، ماذا تعنى هذه الكلمة للأطفال؟ هى بكل بساطة تعنى عدم توفر الأمان و الحنان و الإستقرار داخل الأسرة، هى تعنى أنهم محرومون منذ نعومة أظافرهم، لأن الأسرة هى التى تمثل الحماية الكافية للأطفال ولو إنعدمت الأسرة و إنعدمت الرعاية الكافية ليصبح الطفل لا ملجأ إليه و بعد ذلك لا يجد ملجأ إلى الشارع وأن الشارع به سلبيات كثيرة تعطيها للطفل المحروم و يصبح الشارع هو المربى لهولاء، و أى تربية و رحمة متوفرة فى الشارع؟.و المجتمع السودانى يطلق على أطفال الشوارع مسميات عدة، لعل أبرزها هو مصطلح الشماشة، و هو مشتق من الشمس (الشمش بالدارجية) أى أبناء الشمس المحرقة، الذين يجوبون الشوارع نهاراً وليلاً، و لاسكن لهم سوى المجارى و البنايات الغير مكتملة، و فرانات المحال التجارية فى الأسواق. يلتحفون الأرض و يتدثرون بالسماء و الغبار، لا كساء لهم إلا ما يتوفر فى المخلفات ما يسترون به عورتهم، وهى إنما أسمال بالية، وما يسدوا به رمقهم من بقايا طعام، مما لا يسد جوعاً، فيلجأون للتسول و النشل و الخطف و السرقة.

و قد دفعتهم طبيعة حياتهم و الظروف الحالكة التى يعيشون فيها إلى إستنباط نمط خاص بهم فى تركيبة مجتمعية ذات دلالات خاصة، تشمل أسلوب التعايش و حتى التخاطب، فابتدعوا لغتهم الخاصة، و التى تحوى مفردات و تراكيب مموهة للجمل و الكلمات يبتكرونها بأنفسهم، حتى يستطيعوا التحاور فيما بينهم فى الشارع دون أن يدرى المارة ما يقصدونه، ويطلق على لغتهم هذه مسمى (الراندوك)..و هذا يدل على تمتع هؤلاء الأطفال المشردين على الإبداع والخلق و الإبتكار، مما يوحى أنهم بقليل من الرعاية و التأهيل السوى يمكن أن يكونوا أعضاء فاعلين فى المجتمع، يساعدوا فى نموه و تجدده بإبداعاتهم و خلقهم، و مثال على ذلك (دينق الرشيد) وهو فنان يجيد الرسم، من أطفال الشوارع و عندما أتيحت له الفرصة للإشتراك فى مسابقة دولية للرسم نظمتها اليونسيف (منظمة الأمم المتحدة لرعاية الأطفال) حاز على المركز الأول، مما يعزز اليقين بانهم أطفال عاديون مثلهم مثل سائر الأطفال، إلا أنهم قد جار الزمان عليهم و ابتلاهم الدهر منذ نعومة أظافرهم بإنعدام الرعاية الأسرية و المجتمعية السوية، فمن واجب المجتمع أن يسد النقص الأسرى و الرعاية الأبوية التى حرموا منها.

و أخيراً: الطفل يولد كما يقول علماء النفس صفحة بيضاء، أو كما قال صلى الله عليه وسلم فيما معناه «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». وعندما لايجد الطفل الأسرة، سواء أن بفقدان أو للحروب أو النزاعات القبلية، أياً كان سبب التشرد، فإن الطفل المتشرد يكون عرضة لكل النزاعات النفسية و العقلية، و الممارسات الخاطئة التى لا رقيب عليها و لا موجه ولا وازع، لا يردعه إلا قانون الشارع الذى يعيش فيه، و مجتمع الشماشة الذين من حوله، تتحكم فيه الأهواء و الرغبات اللحظية، و الحوجات الشخصية، و اللذات و الرغبات التى تجتاحه من حين لآخر، لا رقيب ولا حسيب.

التسول والنشل والخطف والسرقة يلجأ إليها المشردون لسد جوعهم

وفى النهاية فمن المسؤل و ما هى الحلول؟ و بالرغم من أن الموضوع يطرق كل يوم و فى كل وسائل الإعلام، إلا أن الحلول ماتزال بعيدة عن الواقع.

وترى فاطمة الزهراء محمد الأمين – مرشدة نفسية ان هنالك مجموعة من العوامل تساهم في هذه الظاهرة وهي الفقر والجوع وعدم قيام رب الأسرة بدوره فيلجأ الأبناء للتشرد للحصول على ضروريات الحياة بامتهان التسول أو نتيجة لانفصال الأم عن الأب وبالتالي تتفكك الأسرة وقسوة الوالدين على الأبناء أيضاً لها دور في تشرد الأبناء وكذلك دفع الطفل لتحمل عن العمل ورعاية الأسرة قبل وصوله إلى النضج الجسمي والعقلي .

تكمن خطورة هذه الشريحة « المشردين « في استخدامهم في أعمال تخريبية تهدد الأمن والسلام ، هكذا ابتدر زروق محمد عربي ضعف يضعفه « وآخر طوم « واصل في ثلاثة التي تجدهم كثيراً ما ينجدون فيها للتغيير عن كبتهم وحرمانهم وتفريغ شحنات ضد المجتمع وبضده الشرى نجد بها في ازدياد كل يوم ولهم أنواع وأشكال منهم المشردين من الذين مشردين ومنهم لا يمكن دمجهم وإعادتهم للمجتمع أو يتشافى أسره ولم يشرع فيها وهذا النوع من المتشردين الأخطر على نفسه وعلى مجتمعه لذلك لا بد من برامج قوية لإدماج هذه الشريحة في المجتمع ولابد من مكافحة ومقار به الفقر وكفالة الايتام والكثير من منظومات المجتمع المدني تقوم بعمل برامج جادة ليضح المتشردين في المجتمع .

رأي آخر

التسول والتشرد يعطى صورة سلبية عن المجتمع وعن الدولة فالمجتمع الإسلامي يتميز بالتكافل بين أفراده فقد أوجب الإسلام الزكاة والصدقة لكي لا تتفشى مثل هذه الظواهر

في المجتمعات القديمة لا تنتشر فيه هذه للقضايا على الرغم من بساطة هذه المجتمعات في اقتصادها وثقافتها وعلمها فعدالة الاجتماعية كانت تلعب دورها .

وجاء تعريف المتشرد على لسان د. مشاعر محمد بدرى من منظمة نقطة ضوء بأنه فاقد الأسرة أو المسكن ، وهنالك تشرد جزئي مثل الطلاق ، الوضع الاقتصادي أو وفاة الوالدين فيكون الطفل بعيداً عن البيت منذ فترة الصباح إلى المساء فيرى الطفل ان الشارع المتنفس الوحيد بالنسبة له ، أما المتشرد تشرد لكي ليس له بيت ويقضى حياته في الشارع تقوم به المنظمة ذكرت ان هنالك تأهيل للمتشردين من خلال الحملات الصحية والتثقيفية والترغيبية.

الزكاة هي الحل

أما محمد العقيد أستاذ اللغة الفرنسية يرى أن نسبة ٨٨٪ من المتسولين يعتبرون التسول مهنة وقد تكون أسبابه نفسية ويجب فرض القوانين لمنع التسول واعتقد ان رأيه إذا قام الناس بدفع الزكاة وقام هو بدوره الإنفاق على هؤلاء الناس لما كانت هنالك ظاهرة التسول في مجتمعاتنا .

منذ فجر تاريخ البشرية والأسرة تنؤ مكانة مهمة وجوهرية في حياة أفرادها من حين تحولهم من كائن بايولوجي إلى إنسان اجتماعي لنقل عناصر ثقافة المجتمع إليه وربطه بمجتمعه ، لذلك تعد عملية التنشئة الاجتماعية أدت عملية نفسية واجتماعية يواجهها الفرد ويخضع لمؤثراتها بدءاً من ميلاده وانتهاءً بوفاته لكي يصبح شخصاً اجتماعياً مواكباً للمراحل العمرية التي يمر بها ويعيش فيها كالإنسان السليم المعافى في بدنه أكثر قدرة على المساهمة الفعالة في بناء نفسه وأسرته ومجتمعه فقد تواجه هذه الأسرة العديد من المشكلات والقضايا التي تهدد الأمن الاجتماعي في مقدمتها مشكلة التشرد والتسول يلعب الفقر والجهل فيها دور أساسي فأسباب التشرد تبدأ من الأسرة التي قع عليها مسئولية تقديم الدعاية اللازمة لإفرادها تفكك الأسرة المستوى وفي ظل غياب التفاهم والود وحسن المعاملة بين الزوج والزوجة يترك هذا أثراً خطيراً على الأبناء إضافة إلى عامل هام وهو تدنى مستوى الفهم التربوي للوالدين ، وكما يقع هذا العبء على الأسرة يكون أيضاً على الدولة فهي مسئولة رعاياها فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لو عترت بغلة بالعراق لرأيتني مسئول عنها « فكيف بالإنسان فأنظر إلى صورة المقارنة فقد جاء لتأمن خلال هذا الاستطلاع ان نكشف عن الضرر الذي تقوم به الدولة تجاه بعض الشرائح وعن دور المجتمع تجاه هذه الظاهرة .

تكمن خطورة «المشردين» في استخدامهم في أعمال تخريبية تهدد الأمن والسلام

ابتدرت صاحبة هذا الرأي رفضت ذكر أسمها بأن الدولة لم تفعل شيء للمتشردين ولا المسئولين ولا لغيرهم ووزارة الرعاية لا تقوم بدورها لذلك نرى هذه الحالة الآن في ازدياد مستمر وإذا استشعر كل من مسئوليته لاستطعنا ان نخفف من هذه الظاهرة.

ويرى صاحب هذا الرأي ان أسباب التسول والتشرد خلل في تركيبية الأسرة الأب لا يعى ما دوره وكذا الأم لذلك يقع الأبناء فريسة لهذه السلبية بالضرورة أن تكون أسباب التشرد والتسول الحرب ، الجوع أو غيره وغالباً ما يتسول ليحصل على ضروريات الحياة وكذلك ليس كل متسول متشرد وليس كل متشرد متسول بالضرورة فقد يكون للمتشرد عمل يدر له دخلاً والعلة تكون في عدم ارتباطه بأسرته .